سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بعض الوثائق الأصلية تالفة

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية و آدابها
و اللغات الشرقية و آدابها

صورة
الحياة و الإنسان في شعر
أبي العلاء المعري

رسالة دكتوراة

إعداد
محيى عيد الحميد إبراهيم مصطفى صقر

إشراف
الأستاذ الدكتور / محمد زكى العشماوى
أستاذ النقد الأدبى
و نائب رئيس جامعة الإسكندرية (الأسبق)

B
١٤٣٣١

٢٠٠١

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية و آدابها
و اللغات الشرقية و آدابها

صورة
الحياة و الإنسان في شعر
أبي العلاء المعري

رسالة دكتوراة

إعداد
محيى عبد الحميد إبراهيم مصطفى صقر

إشراف
الأستاذ الدكتور / محمد زكى العشماوى
أستاذ النقد الأدبى
و نائب رئيس جامعة الإسكندرية (الأسبق)

٢٠٠١

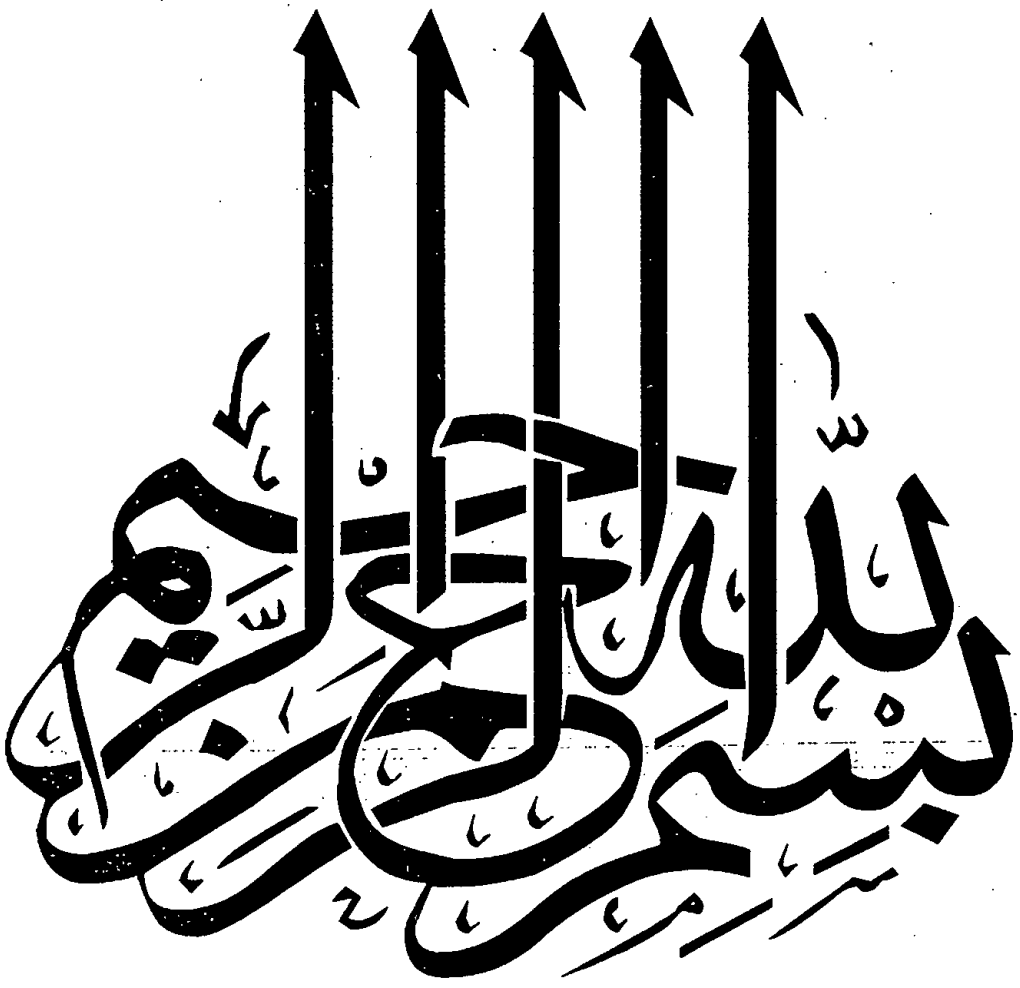
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

- إلى من رحل عن دنيانا قبل أن يرى البحث نور الواقع .

أبى

- إلى رمز العطاء و نبع الحنان.

أمى

- إلى رفيقة الكفاح و شاطئ الأمان.

زوجتى

أهدى ثمار عملى

صورة
الحياة و الإنسان في شعر
أبي العلاء المعري

مقدمة

القضية المطروحة منهجا وتطبيقا

لقد تميز الأدب العربي منذ قديم الزمان بالخلود والمحتوى ، واحتواه شعراء وأدباء ونقاد بحكمة بالغة وآراء بناءة ، مما أعطى لهذا الأدب ثقله ورصانته . ولقد كان حضور أبى العلاء المعرى مهيبا متميزا ، ومعلما بارزا من معالم أدبنا الخالد ، صاحب السيرة التى لم تتكرر ، والعطاء المتفرد كما وكيفا .

وقبل أن أتحدث عن صورة الحياة والإنسان فى شعر أبى العلاء المعرى فكرت مليا ، فهو بحر واسع القرار ، وأن من يَسْبِرْ أغواره يكن فى حاجة إلى حصيلة لغوية وفنية وفلسفية تكون عونا له ، ومعينا فى فهم إنتاجه الفياض عبر تلك الرحلة . ولعل شاعرنا من أكثر من تناوله بالدرس نقاد وشعراء ومفكرو اللغة العربية عامة .

لقد عاش أبو العلاء ظروفا اجتماعية غاية فى التناقض واللامبالاة ، فى عصر ضعف وخور ، حيث تغلب الترك والديلم على العنصر العربي وتوارى الخليفة العباسي وانحدر ، وترك مقاليد البلاد لأمراء كانوا من عناصر غير عربية فدمروا كل خير ، وكان أبو العلاء يرى كل هذا بروح الإنسان المسلم العربي ، وبقلب الشاعر الصادق ، وبعقل المفكر والفيلسوف . يرى الحكام يعيثون فى الأرض فسادا ، يظلمون الرعية ، وينتهبون أموالها وينفقونها على ملذاتهم الدنيئة ، بينما يبخلون على البذل فى إصلاح أحوال البلاد ، ثم يرى رجال الدين وقتذاك وهم يتمرغون على أعتاب الحكام ، يبيعون لهم الفتاوى الشرعية بأبخس الأثمان ، بل ويؤولون كتاب الله وأحاديث رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ حسب أهواء حكام لا دين لهم ولا خلاق .

ونظر أبو العلاء فى كل جوانب الحياة ليجد الفساد ضاربا فى كل جانب ، فالأخلاق ضاعت ، والمرأة المسلمة أضحت متاعا رخيصا ، والكتاب والشعراء باعوا أقلامهم للطغاة الظالمين ، والناس فى محنة حقيقية .

عاش أبو العلاء النصف الثانى من القرن الرابع الهجري ، والنصف الأول من القرن الخامس الهجري ليرى هذه الحقائق المروعة وليذوق مرارة الفقر وذل الحاجة

وضيق الفكر، فاضطر إلى الهجرة البغدادية حتى يتزود من مدينة العلم والمعرفة ، وملتقى العلماء والمفكرين ، ولكنه سرعان ما فكر فى العودة خائب الرجاء دون أن يحقق ما ينشده ، ولم يقض بها سوى عام وسبعة أشهر تقريبا ، عاقدا النية على اعتزال الدنيا بمن فيها .

لقد برع شاعرنا فى تشريح صورة الحياة والإنسان في عصره من خلال شعره ونثره ، وتكشفت له حقائق عدمية الحياة وتلاشيها ، وانشقاق ذاتية الإنسان حيث كان شديد التأمل واسع الخيال مما أمعن في إيلامه . كما أن سر مأساته الحقيقية هو عجزه عن فهم حكمة ما ابتلى به من محنة العمى ، مع إحساسه القوى بوقعها فى نفسه ، يقين بالألم وعجز عن الفهم ، وهذا هو مصدر الحالة النفسية التى احتوته وأحاطت به ، وهو المرهف الحس المعتز بملكاته ، فتألم ألما مبرحا ويئس من الإفلات منها ، ثم حاول أن يجد فى فهم سرها عزاء لنفسه ، فيئس من الفهم أيضا . وهنا يتساءل : ولم ابتليت دون غيرى ؟ وهل لم يكن من الممكن أن أكون بصيرا كسواى ؟ ، وطغت الممكنات على تفكيره ، فانتهت به إلي ذلك الاستهتار العقلي الذي يفسر الكثير من متناقضاته .

إن طول إحساس شاعرنا بهذا الألم ، وعجزه عن الخلاص منه خليق بأن يقود إلى نوع من اليأس العقلي ، فرفض الواقع فى ثورة عنيفة ، وضرب بعقله الجريح فى عالم الممكنات ، وقد أرهف الألم تفكيره ، فإذا به عابث ثائر ، والعبث أكبر مظاهر حساسية العقول .

والعبثية قد تمكنت من نفس أبى العلاء بعد أن تسربت داخلها من خلال تأملاته الواسعة ، فهو الرجل الذي يؤمن بأنه " ما لأمر حقيقة " وهنا تتركز مأساة أبى العلاء النفسية وأنه لا يؤمن إلا بالشقاء فحسب حيث تفنن فى إيلام نفسه وتعذيبها ، كما جاء يقينه حسيا فلا يثق بغير ما تستشعر نفسه ، وهذا هو اليقين السلبي ، يقين بالألم والموت والخلاص من الأسر ، وشك فيما دون ذلك . كما أن مصدر التشاؤم بصفة عامة هو اتساع الشقة بين الأمل فى قدرتنا ، والواقع فيما نريد ، ونتائج ذلك تتفاوت فى النفوس ، فهى عند أبى العلاء تبلغ حد اليأس الذى يؤدى إلى نوع من السخرية أشبه ما تكون بحساسية العقل ، وهذه هى محنة أبى العلاء . بينما يرجع

أستاذنا الدكتور / طه حسين تلك المحنة إلى الكبرياء التى جاءته من تصوره للعقل وغلوه فى الإكبار من أمره .

والعبثية مركبة ساقتنا إلى الغربة ، والغربة على حد قول أستاذنا الدكتور/محمد زكى العشماوى هى البعد عن الجماعة لعدم الانسجام والتواؤم ، كما أن الغربة والغثيان والعبث والتمرد واللامعقول تعد أمراضا للفكر فى القرن العشرين لأنها حالات من انعدام الوزن . كما أنها مرض متصل بتصدع الذات وانشقاقها نتيجة لعدم تواؤمها وانسجامها مع المجتمع الذى تعيش فيه ، والمشكلة الحقيقية هى مشكلة الفرد الذى لا يتلاءم مع المجتمع . وتلك المعايشة الكريهة بين اغتراب الدنيا واغتراب الإنسان ليست إلا أرضا ملعونة لا تنبت إلا نباتا شيطانيا مرذولا ، ومهما حاول الإنسان أن يتجاوز مرحلة اغترابه عن الدنيا فلن يستطيع بل سيموت مغتربا لأن الحياة كلها اغتراب ، والإحساس المعاصر بالعبث والاغتراب هو مدرك وجودي ، وشعور تلك المعاناة يكون قديما قدم الإنسان .

إنها الحياة التى حارت فى فهمها العقول ، وتجرعت من شرورها القلوب ، إنها التساقط والتلاشى وانعدام الذات ، ولا حقيقة سوى انتهاء تلك الديمومة وتسيد العدم . ولقد كرس أبو العلاء كل طاقاته الإبداعية فى فهم حقيقة النفس الإنسانية المرعبة التى زلزلت أركان وجوده . إنه الإحساس بالغثيان والدوار والاغتراب ، اغتراب عن حياة ملؤها الزيف والخداع ، فبدأ رسالته بتعطيل التزاوج والإنسال ، ومجافاة المرأة التى هى عنوان الخصب ورمز النماء ، وعمران تلك الحياة بأناس يسعون فى الأرض الفساد .

ولقد رفض أبو العلاء الاعتراف بالعلة الغائية للوجود ، رافضا أن كل شئ خلق من أجل الإنسان ، وأن لكل كائن حي حق الوجود فى الحياة ، ونشب خلاف فى ذلك ، ولكن تدخل النقاد قائلين : أن لكل مخلوق حقه فى الحياة ولكن المخلوقات حسب مراتبها ، وكل مخلوق ميسر لما خلق له .

وإذا كانت الحياة بلا غاية ، والتلاشى وانشقاق الذات سيطر على كل شئ ، والحياة تعدل العدم ، فمتى تكون الحياة الحقيقية ؟ إنها تبدأ بعد الموت . حياة خلود

وارتقاء.ومن هنا أخذ ينادى بالموت يستجديه ويستعذبه ، ويعجب لمن يتمسك بالحياة ، بل ويتمنى أن يكون فى عالم البرزخ الذى هو النقلة إلى عالم الخلود .

لقد فقدت الحياة هويتها وبعدت عن هدفها المنشود ، وأصبح الإنسان كخيوط العنكبوت إذا ما قورن بالنسيج الكوني للحياة ، وسرعان ما تأتلف شرار الناس بتلك الحياة أما أطايبها فتصرع بلا هوادة . إنها العبثية التى تلد السأم والملل من الحياة . السأم المرتبط بالمعاناة والتأمل الفكري ، إنه رفض لمجرد التفكير فى منطقة الوجود وعمقه ، كما أنه توقف عن الانتماء لديناميكية الكون . ثم استغرق أبو العلاء مليا فى رصد نواقص مجتمعه فعانى الكثير من شرور الحياة وفوضويتها حتى جعلته بين شقى رحى ، **أحدهما** فقد حرية الإرادة فى الحياة ، **وأخراهما** انسحاق الأمل فى دنيا الأحرار ، ولا مفر إلا العدم المطلق فرارا من المعايشة الكريهة بين اغتراب تلك الحياة واغتراب إنسانها .

والإنسان خَيِّر بطبعه لأنه خُلِقَ على الفطرة السليمة ، بينما الشر داخل فى تركيبة الإنسان من خلال تشبعه من عناصر السقوط المحيطة به فى مجتمعه الذى يحيا بداخله . ولقد تعرض شاعرنا لمتاعب الحياة الإنسانية من خلال مشكلتى الخير والشر ، والجبر والاختيار . فالطبيعة البشرية فاسدة عنده ولا أمل فى إصلاحها ، والإنسان مسير بقوتين : **قوة داخلية** هى الغريزة الوحشية التى من الصعب تهذيبها ، **وقوة خارجية** فى أن الإنسان لا إرادة له ولا اختيار ،"فهو مُسَيَّرٌ فيما قدره الله له .

ونرى شاعرنا يندفع بتأثير تأمله الفلسفي تجاه تقديس العقل دون النظر إلى عاقبة ذلك ، ولكنه لم يكن فوضويا يقصد الهدم ، بل قصد الإصلاح الاجتماعي على أنه يندفع إلى ذلك متأثرا من طبيعته ومن الفساد الذى حوله .

وانتهى أبو العلاء بعد إمعانه التأمل فى طبيعة الإنسان أن له إرادة ولكنها محدودة وضعيفة أمام الإرادة الإلهية ، كما لاحظنا سيطرة الطبائع على عقل الإنسان وكيف تقوده وتوجهه إلى حيث تشاء ، فالنفس أمارة بالسوء ، وبهذا نسجت خيوط الشك فى فكر أبى العلاء على عدم قدرة الإنسان على الخير ، ولا حقائق فى الكون سوى الشر والفساد .

واستفحل أمر الشر وزاد النفاق ، إنه انشقاق الذات والبصر بالسوءات والتشوهات ، يتبعه انشقاق العالم وتفسخه وهبوب أعاصيره ، ثم تحلل الآخرين وبروز تضاريس خطاياهم ، ومن ثم يستبشع شاعرنا أن يدلى بدلوه فى تلك البئر المسمومة ، ولن ينضح الوعاء بغير ما فيه ، ولن ينجب البشر الأخساء سوى أضراب لهم فى الخسة والسوء .

وعن التردد والاضطراب نرى شاعرنا متناقضا فى حكمه فى قضية الجبر والاختيار بينما يلتمس أستاذنا الدكتور/ صالح اليظى له العذر حيث إن الشأن لدى الفنان المتأمل لمفردات الفكر التأملى هو تعدد الرؤى وتنوع التأملات الفنية وفقا لتعدد زوايا ما يتأمله من ناحية ، ولاختلاف حالاته النفسية وتطور أحاسيسه من ناحية أخرى .

والحقيقة أننا لمسنا تردد شاعرنا واضطرابه معللا ذلك إلى أخذه بالتقية ، ولكن هذا لا يصلح لأن يكون علة لاختلاف أقوال شاعرنا ، لأن التقية كما ذكرها أستاذنا / أمين الخولى : هى اختلاف ظاهر وباطن ، طاعة ظاهرة وقلب مخالف ، وتوافق ظاهر وإضمار خلاف ، وهذا من التقية مفهوم لأنه إخفاء ما يكره الناس ويغضبون من أجله .

ولقد تزودنا فى رحلتنا هذه بمعين رُوَّاد لا ينضب ، رواد شهدت لهم الدراسات الأدبية بالعمق والإبداع ، ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر أستاذنا الدكتور / طه حسين رائد الدراسات العلائية المعاصرة التى لا تجحد ريادته ، وكذا العالمان الجليلان الأستاذ / أمين الخولى ، والدكتورة / عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ" ، حيث كانا من أدق الباحثين استلهاما للقضايا العلائية ، ومن أخصبهم تحديدا لتلك الهوية ، وكذا الأستاذ / عبد العزيز الميمنى الراجكوتى صاحب كتاب أبو العلاء وما إليه ، وكذا الدكتور / أنيس المقدسى وما كتبه عن أمراء الشعر فى العصر العباسي ، وكذا الأستاذ / محمد سليم الجندي صاحب الجامع وابن المعرة ، وكذا الأستاذ / عمر فروخ ، والأستاذ / زكى المحاسنى ، وكذا أساتذتنا الذين شاركوا فى المهرجان الألفي لأبى العلاء حيث أفادونا بمقالاتهم الثرية فى شتى القضايا ، بالإضافة إلى أساتذة النقد والإبداع كأستاذنا الدكتور/ محمد زكى العشماوى ،